

روح المعاني

واضح منه وأطيب ماحاك في صدرى ثم رأيت العلامة الطيبي عليه الرحمة صرح به إن الذي يقتضيه النظم الفائق أن هذا الخطاب مع المنافقين وأن قوله سبحانه ما يفعل الله بعذابكم متصل بقوله تعالى : إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الخ وتنبيه لهم على أن الذي ورطهم في تلك الورطة كفرانهم نعم الله تعالى وتهاونهم في شكر ما أوتوا وتفويتهم على أنفسهم بنفاقهم البغية العظمى وهو الإسعاد بصحبة أفضل الخلق صلى الله تعالى عليه وسلم والانخراط في زمرة الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل فاذا تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله تعالى وأخلصوا دينهم له فأولئك حكمهم أن ينتظموا في سلك أولئك السعداء من المؤمنين بعد ما كانوا مستأهلين الدرجات السفلى من النيران ثم التفت تعريضا لهم أن ذلك العذاب كان منهم وبسبب تقاعدهم وكفرانهم تلك النعمة الرفيعة وتفويتهم على أنفسهم تلك الفرصة السنوية وإلا فإن الله غنى مطلق عن عذابهم فضلا على أن يوقعهم في تلك الورطات فقله D : إن شكرتم فذلكا لمعنى الرجوع عن الفساد في الأرض إلى الإصلاح فيها ومن اللجأ إلى الخلق إلى الاعتصام بالله تعالى ومن الرياء في الدين إلى الاخلاص فيه فقله عز من قائل : وآمنتم تفسير له وتقرير لمعناه أى وآمنتم الايمان الذي هو حائز لتلك اخلاص الفواضل جامع لتلك الخصال الكوامل فتقديم الشكر على الايمان وحقه التأخير في الأصل اعلام بأن الكلام فيه وأن الآية السابقة مسوقة لبيان كفران نعمة الله تعالى العظمى والكفر تابع فاذا أخرج الشكر بهذه الأسرار واللطائف ومن ثم ذيل سبحانه الآية على سبيل التعليل بقوله جل وعلا : وكان الله شاكرا أى مثنيا على الشكر عليما .

147 .

- بجميع الجزئيات والكمليات فلا يعزب عن علمه شيء فيوصل الثواب كاملا إلى الشاكر وإلى هذا ذهب الامام وقال غير واحد : الشاكر وكذا الشكور من أسمائه تعالى هو الذي يجزى بيسير الطاعات كثير الدرجات ويعطى بالعمل في أيام معدودة نعماء في الآخرة غير محدودة وعلى التقديرين يرجع إلى صفة فعلية وقيل : معناه المثنى على من تمسك بطاعته فيرجع إلى صفة كلامية .

هذا ومن باب الإشارة في الآيات .

أما في قوله سبحانه : ويستفتونك في النساء إلى قوله D وكان الله واسعا عليما فقد قال النيسابوري فيه : إن النفس للروح كالمرآة للزوج ويتأمن النساء صفات النفوس وما كتب لهن ما أوجب الله تعالى من الحقوق .

وحاصل المعنى إن نفسك مطيتك فارق بها واليه الإشارة بقوله تعالى : والصلح خير
وأحضرت الأنفس الشح فالروح تشح بترك حقوق الله تعالى والنفوس تشح بترك حظوظها فلا تميلوا كل
الميل فى رفض حظوظ النفس فقد جاء فى الخبر إن لنفسك عليك حقا فتذروها كالمعلقة بين
العالم العلوى والعالم السفلى وإن يتفرقا أى الروح والنفوس يغن الله كلا من سعته فالروح
يجتذب بجذبة خل نفسك وائتنى إلى سعة غنى الله تعالى فى عالم هويته فيستغنى عن مركب النفس
بالوصول إلى المقصود والنفوس تجتذب بجذبة ارجعى الى ربك إلى سعة غنى الله تعالى فى عالم
فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى انتهى ولا يخفى أن باب التأويل واسع وما ذكره ليس بمتعين أن
تجعل الآية فى شأن الشيخ والمريد وأما فى قوله : يا أيها الذين آمنوا كونوا الخ فنقول :
إنه سبحانه أمر المؤمنين بالتوحيد العلى المرادين لثواب الدارين أن يكونوا ثابتين فى
مقام العدالة التى